

إنها شنشنة أعرفها من أخزم

هذه الجملة ذات المعنى هي للأمام علي بن ابي طالب عليه سلام قالها عندما أخبر بموضوع معين صدر عن أحد الصحابة ضده، فأراد الإمام ان يقول للناس انه يعرف من هو وراء هذا الموضوع ولكنه لم يريد ان يكشف عن اسمه صراحة او للعله ارد احتقاره على الأرجح فقال فيه قولته الشهيرة هذه التي اصبحت مثل يحتذى به .

وقد استعرنا هذه الجملة لنقول اننا نعرف من هو وراء المقال الذي كتب بأسم مستعار وبدون عنوان وقد نشره مؤخرا على موقع شبكة الأحواز للأنترنيت وقد تناول فيه كتابه الخائف جملة من المواضيع التي تبتعد كليا عن روح الموضوعية والمعرفة بالطبيعة النفسية والعقائدية لشعبنا فقد حاول هذا الكاتب الذي انطلق من عوامل نفسية نتيجة لخصومات شخصي بينه وبين بعض التيارات والحركات السياسية في الساحة الأحوازية والذي يمتلكوا غيرة وحقدا عليها نتيجة لرفضها اياهو، وبما أن هذه الحركات احداها عروبية قومية ، واخرى يسارية تظهر في بعض ادبياتها مصطلحات شيوعية رغم انها لا تتبنا الشيوعية حسب ما صرح به قادتها ، فقد اراد كاتب المقال المتأزم ان من خلال تناوله لحالتين في المجتمع الأحواز وهي حالة الشعور القومي والحالة الدينية ، ان ينفى الاولى وادعى انا شعبنا لا يمتلك شعور بالهوية القومية وانما لديه شعور بالولاء القبلي حسب زعمه ، وهو بهذا اراد ليثبت فشل الحركة القومية ، وأما المسئلة الثانية وهي أن شعبنا يشعر بالولاء لهويته الديني والمذهبية فهو بهذا اراد ايضا الراد على الحركة اليسارية العلمانية .

ان المتتبع للجمل والكلمات في هذه المقالة يرى بوضوح عمق التناقض الذي وقع فيه كاتبها وذلك بداء من اول السطور حيث امتدح الكاتب الأراء الذي قال عنها انها تتسم بالحكمة والموضوعية التي ظهرت في الساحة الأجوازية ولكنه سرعا ما يناقض نفسه ويعود بالهجوم اللاذع عليها وينعتها بالفكر والأراء الطوباوية حسب زعمه وانها اراء غير موضوعية والى ماذلك من النعوت العدوانية .

ثم ينتقل ليقرر ان الإنسان الأحوازي يعيش ثلاثة هويات وهي الهوية الدينية او المذهبية والهوية القبلية، ومن ثم الهوية القومية العربية او العروبية وهو يقرر هذا الهويات دون ان يقدم تعريف علمي واضح لمعنى الهوية ، لكي تكون قاعدة قياس يثبت فيها حقيقة من يدعيه .

ثم يعبر عن الدين والقبيلة والعروبية بأنها مؤسسات فكرية يعيشها الأحوازي في آن واحد . وقد خلط الكاتب بين الحالة الاجتماعية والمؤسسة ، فالحياة القبلية شأن اجتماعي يحتكم الى نظام خاص به يتطور مع تطور الزمان والمكان ، وهي حالة غير ثابتة في حياة المجتمع وهي ايضا قابلة للتغير متى ما حصلت الظروف الموضوعية للقضاء عليها وذلك من خلال ايجاد البديل الاجتماعي الأفضل ، وأما الدين فهو اضافة الى كونه عقيدة روحية فهو ايضا نظام حياة تصاحب الانسان بالأختيار وليس بالالزام وقد اشار القران الكريم الى ذلك (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) .

وأما القومية فهي أمر جبري يولد الإنسان عليه دون اختيار منه ، بمعنى ان الانسان لا يمكنه اختيار قوميته ، فالذي يحدد قوميته والديه فهويته القومية تلازمه منذ التكوين وحين الولادة وحتى الممات .

وأما المؤسسة فهي التي تأخذ من الأخرى وليس العكس ، فالحزب مثلا هو مؤسسة وبطبيعة الحال يجب ان يكون حامل لفكر فان كان هذا الفكر قبلي فنقول مؤسسة ذات عقلية قبلية بمعنى ان القبيلة هي التي اعطت المؤسسة فكرتها وليس العكس وهكذا الامر بنسبة لدين ايضا فهو الذي يغذي المؤسسة ايديو لوجيا حتى صار يقال المؤسسة الدينية . وهذا القياس يمكن ان ينطبق على المؤسسة ذات الطابع القومية ايضا.

أما المسئلة الأخرى وهي ان شعبنا يعيش الأحساس بالهوية الدينية او المذهبية على حساب الهوية القبلية والقومية فهذا كلام غير منطقي وليس له اساس من الصحة والدلائل الذي ساقها كاتب المقال لا تتكأ على منطق علمي نهانيا .

وهنا سوف نسوق عدة امثله لدحض الأفتراءات :

أولاً : ان الهوية الدينية والمذهبية جاءت بعد الهوية القومية واعني ان شعبنا كان عربي قبل ان يكون مسلم ، وكان مسلماً قبل ان يصبح شيعي وهذا ليس انتقاص من الدين او المذهب ولكنها حقيقة اجتماعية عاشها شعبنا منذ ان اوجد على هذه الارض العربية (الأحواز) اي قبل الدين الاسلامي بعدة قرون .

ثانياً: ان العديد من العرب الذين يعيش في مناطق ومدن ايرانية واغلبهم سنة فقد تفرسوا وهم سنة وذابوا في الدولة الشيعية قومياً ولكنهم بقوا محافظين على مذهبهم السني ، وهنا يمكن الأخذ بالعرب السنة الذين يعيشون في المدن الساحلية مثل بندر عباس وكنكون وبندر لكنه وبوشهر فأغلب سكان هذه المناطق من اصول عربية واغلبهم من اتباع المذاهب السنية ، ولكنهم فقدوا لغتهم العربية ولم يقاوموا التفرس رغم الفارق المذهبي ، بينما نجد شعبنا على العكس من ذلك تماماً فهو ورغم ما يجمعه مع الدولة الفارسية من الناحية المذهبية إلا انه بقي متمسكاً بقوميته بل ذهب الى ابعد من ذلك فهو يزداد في المطالبة بحقوقه القومية المغتصبة ولم يهد يوماً عن المطالبة بهذا الحقوق وأن اختلفت طرق ووسائل المطالبة .

ومن هنا فإن التمسك بالهوية القبلية هو بحد ذاته نوع من انواع الحفاظ على الخصوصية القومية وليس رفضاً لهذه الهوية كما تخيل خزيمة . (كناية لصاحب المقال) . بالعكس من ذلك فإن التمسك بالهوية القبلية (ان صح التعبير) قد حفظ لنا جميعاً المقومات التي يمكن ان تساند في اثبات عروبة شعبنا .

ثالثاً: ان تاريخ شعبنا مدون في مصادر عديدة ولا يمكن لأحد ان يزور هذا التاريخ من اجل ان يثبت وجهة نظره في مقابل وجهة نظر الآخرين ولو كان هذا التزييف على حساب شعبنا ، وهذا ما حصل بالفعل في مقال (خزيمة) الذي راح يلوي عنق الحقيقة لتتلائم مع اغراضه الشخصية ، حيث ادعى ان الحكام الأحوازيون في السابق كانوا يدفَعوا الضرائب او الخراج كما سماه للحكام الفرس بدافع مذهبي ، وهذا مخالف للحقيقة تمام ، فهو لم يذكر الحروب التي دارت بين الشعب الأحواز وبين الحكومات الفارسية الشيعية ، والتي كانت السبب وراء دفع الحكام الأحوازيين الضرائب للدولة الفارسية بعد ان شهدت عدة حالة انتصار فيها الجيش الفارسي الشيعي على العربي الأحوازي الشيعي .

لقدت دارت عدة معارك بين الجيش الصفوي الشيعي و الدولة المشعشعية الشيعية وذلك بسبب رفض المشعشعيين الانصياع للدولة الفارسية ، كما ان المشعشعيين ثاروا عدت مرات على الدولة الصفوية الشيعية واصبح ولانهم للدولة العثمانية السنية ودفَعوا لها الخراج رغم ان المشعشعيين كانوا يتصفون بالغلو المذهبي الان ذلك لم يمنعهم من الاعتزاز بقوميتهم والدفاع عنها ضد محاولات سياسة التفرس الصفوي .

كمانه قد دارت حرب قاسية بين الأمانة الكعبية الشيعية و الدولة الزندية الشيعية في زمن حكومة كريم خان زند الذي تحالف مع الإنكليز والعثمانيين ضد الكعبيين عام 1765م، وذلك بسبب رفض الكعبين الانصياع للدولة الزندية وهي شيعية ايضاً.

وأما قصة معركة الجهاد الذي ساقها الكاتب للدلالة على الولاء المذهبي لشعبنا ففي الحقيقة ان هذا الاستدلال مردود عليه ، وهذا لايعني اننا نفى البعد الديني والمذهبي في حياة شعبنا وهذا امر غير صحيح بتأناً ، وانما ما اريد قوله هنا هو ان شعبنا عندما حارب الانكليز في معركة الجهاد كان بدافع قومي بدرجة الاولى . ، والدليل على ذلك ان الانكليز سبق وأن دخلوا محتلين للمناطق الساحلية ومناطق اخرى عديدة من ايران وقد اصدر جمع من مراجع الشيعة فتاوي ضد الانكليز الان شعبنا لم يتحرك لانه ببساطة كان يرى ان الامر لايعنية كون الامر بين الانكليز والفرس والاثنيين اعداء او على الاقل الاثنين اجانب بنسبة لشعبنا ، اما فيما يتعلق بمعركة

الجهاد فالأمر فيه طابع قومي حيث العراق والشعب العراقي هنا هو المقصود، ولذلك كان لابد للحنس القومي ان يتحرك .

وهناك حادثة قريبة لايزال صدها يتداول بين الناس وهو الموقف البطولي للزعيم الوطني والديني سماحة الشيخ محمد طاهر شبير الخاقاني رحمه الله لقد كان مرجعا دينيا شيعيا وكانت الدولة دولة رجال دين ومراجع شيعية فلماذا لم يسكت الشيخ الخاقاني عن حقوق الهوية القومية لابناء شعبه لصالحه الهوية المذهبية .

رابعا: يلاحظ من خلال قراءة المقال انه توجد سطور بأكملها قد نقلت نقلا من مقالات او كتب اخرى وقد الصقت في هذا المقال بحيث قد اصبح الكاتب يتخبط، ففي الوقت الذي نراة مادحا بلحظة يتغير ويتحول فجأة الى مهاجم او ناقد لنفس الموضوع الذي سبق وان امتدحه قبل قليل . خامسا : يدعي خزيمة ان اغلب افراد المجتمع تعيش غياب المعرفة بالهوية القومية ، ويقول انه اذا سنلت الفرد الأحوازي عن هويته لايدري مايقول ، لقد ادعى في المقدمة انه يعيش في قلب الحدث وهذا يعني انه في وسط الساحة الأحوازية او على الأرجح انه احد الاطراف الفاعلة فيها ، ولكن المحير في الامر كيف يكون في قلب الحدث لم يسمع او يشاهد على الاقل المهرجانات الشعرية والادبية العلنية التي تعقد ومنذ عدت سنوات في العديد من المدن الأحوازية وكلها تتغنى بالعروبة والعرب وقد اصبح الزي العربي من ابرز مظاهر الشارع الأحوازي، فماذا يعني ذلك كله ، الا يعني ذلك نوع من التعبير عن الأحساس بالشعور القومي .

وعليه الا يحق لنا ان نشكك برواية خزيمة المتعلقة بمسئلة وجوده في قلب الحدث، أم تراه يعيش في مكان اخر من الحدث في مثلا .

ان عقدة القومية العربية والشعور القومي تبدو واضحة في نفس خزيمة الذي وصف تعبير شعبنا عن تأييده لشعب الفلسطيني وخروجه في مظاهرات تاريخية ضد العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م بأنه ناتج عن تأثره شعبنا بالصخب الأعلام العربي على حسب زعمه . وهنا قد وجه خزيمة اهانة كبيرة لشعبنا حين وصف مواقفه الانسانية بأنها غير مبدانية ونتجة عن تأثره بالصخب الأعلامي ، وهذا لايقوله انسان ينتسب لشعبنا العربي الأحوازي والاكيف يمكن ان ينعت شعبه بهذه الصفة ويسفه مواقفه ، فلوا سلمنا جدلا ان شعبنا لم ينطلق من منطلق قومي في تأييده لفلسطين ومصر ، فمن المأكد انه دافع عن هذين الشعب من منطلق انساني حيث انهما تعرضا الى عدوان والعدوان مرفوض ضد اياً كان ومن قبل اياً كان ، الا اذا كان خزيمة صهيوني اكثر من الصهاينة وهو يرى في ادانة العدوان الصهيوني جريمة اكبر من جريمة الاعتداء ذاتها .

لقد اقر خزيمة ان شعبنا يتأثر بالصخب الأعلام العربي ، وهنا نسأله؟ لو لم يكن شعبنا يمتلك حس قوميا فلماذا ذهب الى الاستماع الى الصخب الأعلامي العربي وترك الصخب الأعلامي الشاهنشاهي الشيعي الذي كان مؤيدا للعدوان الثلاثي ضد مصر العروبة ومتحالا ف مع الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني .

اخيرا ايريد ان اذكر ان اغلب ما جاء في مقال خزيمة تصديق للرأس ولايستحق القراء لكونه فاقد للموضوعية العلمية ، وكم كنا نتمنى لو ان خزيمة قد وضمفه قلمه لخدمة شعبه وقضيته العادلة وأبتعد عن القضايا الشخصية التي لا تجلب النفع للقراء ولا تأثر قيد انملة في مكانة الحركة السياسية الثورية الأصلية التي اخذت مكائنها تتسع في وسط الجماير .

اقول أن شعبنا قد كسر احد اهم الحواجز التي كانت في ماضى تعترض طريقه ، لقد بات يعرف ذاته جيدا وهو في طريقة الى عبور المرحلة الثانية وهو مرحلة الوعي الموضوعي التي تعني معرفة ما يريد وكيف سيعمل على تحقي مايرد وذلك سوف يتحقق قريبا انشاء الله فهو لم يعد يتأثر بهذه النقيق الذي ما فتأه يصدر من هنا وهناك .

صباح الموسوي

17 اذار 2003